طبقاتُ الإقناعِ في كتاب «كليلةَ ودمنة»

د. حسن عبد راضي
رئيس تحرير المورد

الملخص

يُعرفُ كتابُ كليلةَ ودمنةَ على أنَّهُ واحدٌ منْ بواكيرِ الكتبِ التي شاعَ الاعتقادُ بأنّها تُرجمتْ إلى العربيّةِ منْ لغاتِ الشرقِ القديمة، أيْ الهنديّة القديمةِ والفارسيّةِ القديمةِ (البهلوية)، وإنْ كانَ ثمةَ منْ يرى أنَّ الكتابَ أُلِّفَ باللغةِ العربية ابتداءً، وأنَّ المؤلفَ زعمَ أنهُ ترجمَه دفعًا لضررٍ قدْ يلحقُ بهِ لو قيلَ إنَّهُ هو المؤلف، ففي الكتاب ما يَحكي عن حاكمٍ طاغيةٍ ظالمٍ للرعيّة، فلعلّه أرادَ أن يتجنبَ شكوكَ السلطةِ في فَحوى الكتابِ وفي تفسيرِ الحاكمِ على أنه الخليفةُ العباسيُ أبو جعفرْ المنصور الذي كان مُتجبرًا شديدَ السطوة، فزعمَ أنَّه من كُتبِ بلادِ الهند، ثم انتقلَ إلى بلادِ فارس، هذا فضلاً عن غياب الأصل، إذ لا يوجد أي أثر للنسخة الفارسية (الفهلوية) التي زعم ابن المقفع أنه نقل عنها، أضف إلى ذلك الصبغة الإسلامية التي يتسم بها النص، فهو مليء بإشارات لمفاهيم إسلامية وروح دينية وثقافة عربية خالصة.

ولئنْ كانَ مدارُ الكتابِ في مُجملهِ على الحكمةِ وسياسةِ الرعية، إلا أنهُ، كما ينصُّ على ذلكَ مؤلفهُ أوْ مترجمهُ (عبدُ الله بنُ المقفع)، لهُ ظاهرٌ وباطن، وإنَّ الخطابَ فيه موجَّهٌ للشباب والسوقة والملوك والمتعلمين، وهو لاشك يعتمد أساليب إقناع مختلفة في عمقها وفي حجاجها، بما يتلاءم واختلاف فئات المُتلقّين.

الكلمات المفتاحية: الاقناع، البلاغة، الحكاية، عبد الله بن المقفع، دبشليم، بيدبا.

المقدمة

لئنْ كانَ مدارُ كتابِ كليلة ودمنة في مُجملِهِ على الحكمةِ وسياسةِ الرعية، بيد أنهُ، كما ينصُّ على ذلكَ مؤلفهُ أوْ مترجمهُ (عبدُ الله بنُ المقفع)، لهُ ظاهرٌ وباطن، وقدْ وردَ ذلكَ عنه في غيرِ موضع، لعلَّ أوضحَها قولُهُ وتَمَثُّلُهُ الآتيانِ في مَعرضِ إرشاداتهِ لقارئِ الكِتاب إذ قال:

(وينبغي للناظرِ في هذا الكتابِ ومقتنيه، أنْ يعلمَ أنهُ ينقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ وأغراضٍ أحدها ما قصدَ منْ وضعهِ على ألسنةِ البهائمِ غيرِ الناطقة، ليتسارعَ إلى قراءتهِ واقتنائهِ أهلَ الهزلِ منْ الشبان، فيستميلُ بهِ قلوبَهم، لأنَّ هذا هوَ الغرضُ بالنوادرِ منْ حيلِ الحيوانات. والثاني إظهارُ خيالاتِ الحيواناتِ بصنوفِ الألوانِ والأصباغِ ليكونَ أنسًا لقلوبِ الملوك، ويكون حرصهمْ أشدَ للنزهةِ في تلكَ الصور. والثالثُ أنَ يكونَ على هذهِ الصفةِ فيتخذهُ الملوكُ والسوقةُ فيَكثرُ بذلكَ انتساخُهِ ولا يَبطلُ فيَخلَقُ على مرورِ الأيام، بلْ ينتفعُ بذلكَ المُصوّرِ والنّاسخِ أبدًا، والغرضُ الرابعُ وهوَ الأقصى وذلكَ يخصُّ الفيلسوفُ خاصّةً أعني الوقوفُ على أسرارِ معاني الكتابِ الباطنةِ).

إن الكتابَ بمُجملِه قائمٌ على فكرة الإقناع، فابتداءُ فكرةِ الكتابِ تَنطلقُ من حكايةِ ملكٍ في الهندِ اسمُه (دبشليمُ)، استقامتْ له الأمورُ وأسلمتهُ مقاليدَها، فإذا به يَبطشُ ويظلمُ ويسيءُ معاملةَ الرعيّة، فينبري الحكيمُ (بَيدَبا) للمثول بين يديه، مع ما في ذلك من خطر عليه، فيُحدّثه بحديثِ العقلِ متدرجًا فيه حتى يصلَ إلى النقطة الحاسمةِ التي يُصارح فيها الملكَ بأنه طاغيةٌ ظالمٌ وأنّ عليه أن يَعدلَ في حكمِه ويُحسنَ إلى رعيّتِه، وتتخذُ الأمورُ منحًى دراميًّا فتتصاعد، إذ يغضب الملك ويأمر بحبس الحكيم لجسارته على مليكه، لكنه يثوب إلى رشده بعد حين، ويقتنعُ بحديث الحكيم ويعفو عنه بعد طولِ حبس، ويكرمُه وينزلُه منه منزلةَ المُقرّبين. وهذه هي حالةُ الإقناعِ الأولى والتّغيير الدراميّ الذي انبنى عليها، والحالة الثانية هي عندما يطلبُ الملكُ دبشليم من الحكيمِ بيدبا أن يؤلّفَ له كتابًا يخلّده ويخلّدُ أعمالَه أسوةً بأسلافه، وبعد أن ينجزَ الحكيمُ الكتابَ المَطلوبَ يطلب من الملكِ أن يُدَوَّنَ الكتابُ ويُحتَفَظَ بهِ على أنّه تراثٌ قوميّ، لا تصلُ إليه الأيدي، لاسيما أيدي "أهلِ فارس"، فيوافقُ الملك على طلب حكيمِه المُقرّب.

وتأتي الحالة الثالثة عندما يرسلُ كسرى أنوشروان ملكُ الفرس أحدَ ثقاتِه وهو المُتطبّبُ برزويه ليحصل له على نُسخةٍ من كليلة ودمنة ومن كُتبِ الهند الأخرى، فيَذهبُ برزويهِ إلى الهندِ ويبذلُ قصاراه لتحقيق غاية مليكه، ومن ضمن ذلك إقناعُ صديقِهِ الهنديّ الذي يعمل خازنا لكنوز الملك دبشليم بتسليمه تلك الثروة لنسخها، ويحصل الاقتناع وينالُ مراده. والحالة الرابعة هي حينما يعودُ برزويه إلى بلاد فارس مظفرًا، وقد جلبَ معه كنوز المعرفة والحكمةِ الهندية، فيسعدُ به كسرى، ويعرضُ عليه الكنوزَ والذهبَ والفضّة فيرفضُها جميعا، لكنّه يطلب من الملك طلبًا غريبًا، وهو أن يضافَ إلى الكتابِ فصلٌ يتحدثُ عنه "أي عن برزويه" ويصفُ مكابداتِه في تحصيلِ هذه الثروةِ العلميةِ ونقلِها إلى اللغةِ الفارسية، فيقتنع الملكُ ويرحّب بالفكرةِ ويأمرُ أحدَ وزرائِه بتنفيذِها.

وثمة كثيرٌ من حالاتِ الإقناعِ والاقتناعِ في هذا الكتابِ مَسوقةٌ بأسلوبٍ قَصصيّ جذاب، سنأتي

على نماذج مختارة منها.

وسنعالج في بحثنا طبقات الإقناع في الكتاب ومساراته، وهي:

- **الإقناع البلاغي:** ونعني به الإقناع الذي يحصل بعد أن يستخدم أحد طرفي المجادلة مهاراته البلاغية في سوق الحجج، معززا كلامه بالتشبيهات في الغالب، أو الاستعانة بالأمثال ذات الطابع الحكمي.
- **الإقناع الحكائي:** ونعني به أن يسرد أحد طرفي المجادلة حكاية أو أكثر في سياق أقناع الطرف الآخر برأيه أو بما يزمع من عمل.

الدراسة

لقد بات ثابتا أن الجدل والتضاد والخلاف جِبلّة في البشر، قامت الحياة عليها منذ أن أوجدَ الله الإنسان على ظهر البسيطة، وقد روت لنا التواريخ ومدونات الحضارات القديمة والكتب السماوية ما حفل به تاريخ البشر من صراعات قام كثيرٌ منها على الخلاف في الرأي أو الطمع أو الإثرة أو إثبات العقيدة الدينية أو السياسية أو غيرها من الأسباب، وقديما لخَّصَ قدامة بن جعفر حدّ الجدل وأسبابه واستعمالاته، فقال: (وأما الجدل والمجادلة فهما قول يُقصَدُ به إقامة الحُجّة فيما اختَلَفَ فيه اعتقادُ المتجادلين. ويُستعمَل في المَذاهبِ والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتنصّل فى الاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر)[1].

ولئن تعددت أسباب الجدل وبواعثه، فإن مساقاته تعددت أيضًا وتدرجت من الحوار البسيط بين جارتين تختلفان على كُناسة، صعودًا إلى الحروب الكبرى بين دولتين أو حِلفَيْن من دولٍ بعضُها نووية، وما بين هاتين الدرجتين ثمة تدرجات لا حصر لها. إن ما يعنينا هنا درجة متوسطة من الجدل هي تلك التي تتخذ اللغة وسيلة لها لإثبات رأي أو وجهة نظر، أو استمالة شخص أو أشخاص لإقناعهم بالاصطفاف مع المتكلم، وهذا الجانب من النشاط اللغوي هو ما حظيَ باهتمام اللسانيات الحديثة لا سيما لسانيات الخطاب والتداولية وغيرها من حقول المعرفة وفلسفة اللغة، إذ يرى اللسانيون المحدثون (أن المجادلة جنس من الخطاب، تبني فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة، في الوقت عينه الذي يقوضون فيه دعامة خصومهم وتنتج المجادلة عن المداولة المتصلة للمعاني الإشارية والاجتماعية والتعبيرية).[2]

ويمكن للباحث أن يحصي في الكتاب كثيرا من وقائع الجدل التي تتخذ هذا السمت من السعي إلى إقناع الطرف الآخر برأي أو موقف أو وجهة نظر، تقع بين أطراف مختلفة، وتنتهي إلى إحداث الأثر المرجو أو إلى عدمه، وهي تقترب في ذلك من الأفعال الكلامية[3] Speech Act، وهنا ندرج في هذا الجدول بعضًا منها:

(١) نقد النثر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. طه حسين وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٤١، ص١٣٣.

(٢) بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د. ط، ٢٠١٣ ص١٣.

(٣) يُنظر الفصل الخاص بـ»فعل الكلام، قوة فعل الكلام، لازم فعل الكلام» في كتاب: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون لانغشو أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د. ط، ١٩٩١، ص ١١٣ وما بعدها.

طرف أول/ مرسِل	طرف ثان/ مستقبِل	قضية المجادلة	النتيجة
الاسكندر ذو القرنين	ملك الهند فور	طلب مبارزة مباشرة حقنا لدماء الجيشين	اقتناع
الاسكندر ذو القرنين	جيش الملك فور	بعد مقتل ملكهم «فور» حملوا على الإسكندر فقاتلوه قتالًا أحبوا معه الموت، فوعدهم من نفسه الإحسان	اقتناع
الحكيم بيدبا	تلاميذه	استشارتهم في الذهاب إلى الملك دبشليم وإسداء النصح إليه ليكفّ عن بغيه وطغيانه	عدم اقتناع
القبّرة	طيور العقعق	حث الطيور على نقر مقلتي الفيل حتى ذهابهما	اقتناع
القبّرة	الضفادع	حث الضفادع على النقيق عند جرف الهاوية لإيهام الفيل الأعمى بأن هذا موضع بركة الماء ليهوي فيها	اقتناع
التلاميذ	الحكيم بيدبا	محاولة ثنيه عن عزمه على مواجهة الملك دبشليم	عدم اقتناع
الحكيم بيدبا	الملك دبشليم	إسداء النصح للملك للعدول عن سياسته في الرعية والكف عن البغي والطغيان	عدم اقتناع
الحكيم بيدبا عندما استدعاه الملك ثانية	الملك دبشليم	إسداء النصح للملك للعدول عن سياسته في الرعية والكف عن البغي والطغيان	اقتناع
الملك دبشليم	الحكيم بيدبا	طلب تأليف كتاب للملك يذكره الناس به بعده	اقتناع
الحكيم بيدبا	الملك دبشليم	عرض محتويات الكتاب وما اشتمل عليه من حكيات وقصص على ألسنة البهائم	اقتناع
الحكيم بيدبا	الملك دبشليم	طلب تدوين الكتاب وجعله الكتاب الرسمي للأمة الهندية	اقتناع
كسرى أنو شروان	الطبيب برزويه	السفر إلى الهند وإعمال الفكر والحيلة في نسخ كتاب كليلة ودمنة وكتب الحكمة الهندية ونقلها إلى فارس	اقتناع
الطبيب برزويه	صديقه الهندي	طلب نسخ الكتاب سرا من مكتبة الملك	اقتناع
الطبيب برزويه	كسرى أنو شروان	طلب إضافة فصل إلى الكتاب يخلد سيرة الطبيب برزويه	اقتناع
دمنة (ابن آوى)	كليلة (ابن آوى)	مشاورة صاحبه كليلة في عزمه على التقرب من الأسد ملك الغابة والانضمام إلى حاشيته	عدم اقتناع
دمنة (ابن آوى)	الأسد ملك الغابة	عرض خدماته على الأسد بصفة مستشار	اقتناع
دمنة (ابن آوى)	الثور شتربة	إنذاره بضرورة تقديم فروض الطاعة والولاء للأسد، وإلا فإن غضب الأسد واقع لا محالة	اقتناع
دمنة (ابن آوى)	الأسد ملك الغابة	ايقاع الشك في قلب الأسد من ناحية الثور، وإظهاره على أنه متآمر	اقتناع جزئي فتامّ

ولابد من الإشارة إلى أن حالات الجدال ومحاولات الإقناع بالوسائل المختلفة هي أكثر كثيرا مما ورد في الجدول، ولا مندوحة لنا إلا الاجتزاء ببعضها عن بعضها الآخر. على أن أساليب الإقناع تختلف من حالة إلى أخرى، فقد تتوسل بالبلاغة وتقاناتها لإحداث الأثر، أو تميل – وهذا هو الأكثر وقوعًا في الكتاب- إلى الإقناع الحكائي متوسلة بالعِبَر التي تشتمل عليها الحكايات، بل لعلها إنما أُلّفت لأجل تلك العِبر والمواعظ، ولأنها مؤلفة لنمطين من الناس كما أُريد لها منذ البداية، وهما الجهلة والسوقة الذين سيستهويهم الهزل الذي في الكتاب، وأما باطن الكتاب فهو موجه للحكماء والعلماء، ولذلك سيكون منهج الإقناع فيه قائما على الفلسفة والحكمة.

الإقناع البلاغي

الحديث عن الإقناع على نحو العموم يشبه الحديث عن ثمرة ما، من حيث هي نتيجة لعمليات حيوية غاية في التعقيد والترابط، ومن حيث استغراقها الزماني والمكاني اللذان لا يمكن حدوث الأشياء من دونهما، ومن هنا فإن الإقناع ليس إلا تلك الثمرة التي تنتجها مجموعة من العمليات الذهنية والنفسية والفسيولوجية في سياق اجتماعي من التواصل الإيجابي، ونعني به هنا التواصل القائم على كثير من التعاون بين أطراف المجادلة، وعلى قواسم مشتركة أخرى كوحدة اللغة، أو تعددها (وتدخل هنا الترجمة وسيطًا ناقلًا محايدًا غير معني بتعديل الخطاب شكلًا ولا مضمونًا) وكذلك وحدة الموضوع أو تعدده في سياق واحد، يقول قدامة بن جعفر في كتابه «نقد النثر»: (وقد حصل لنا الآن من علوم ما تبين عنه الأشياء بذواتها "يقين" وهو ما تعترف العقول بصحته ويلزمها الإقرار به، و "تصديق" وهو ما تقتنع النفوس به وإن كان في الممكن أن يقع غيره أوكد من موقعه، و»ظن» قد احتيط فيه حتى وقع موقع اليقين عند مستعمله)[٤]، فالتصديق هو المقدمة العملية للاقتناع، رغم أن موضوع الجدال، كما يرى قدامة، غير قطعي الموثوقية، إذ في الممكن أن يقع غيره أوكدَ من موقعهِ.

ولعل كتاب كليلة ودمنة واحد من أكثر الآثار الإنسانية المدونة احتفالا بالجدال الذي يسعى فيه أطرافه إلى إقناع بعضهم بـ»الانضمام» إلى موقفهم من قضية معينة، ولئن شاركه في هذا كتاب حكايات أيسوب الذي جاء بأسلوب قريب من الأسلوب المتبع في كليلة ودمنة من حيث تقنيات السرد وشخصيات الحيوان التي جاءت الحكايات على ألسنتها، فإن كليلة ودمنة جاء على غاية من النضج الفني، إذ تصدرته حكاية تمهيدية اشتبك فيها الواقعي (الأحداث التي جرت بين شخصيات آدمية قبل تأليف الكتاب وبعده) بالفانتازي (وهو هنا حكايات الحيوان التي وردت في الكتاب وفيها الحيوانات تفكر وتنطق وتحوك الدسائس وتأخذ بالحكمة وغيرها) وكذلك التأريخي، (وهو ما جاء في الكتاب عن زحف الإسكندر المقدوني نحو الشرق، ومحاصرته للهند، وبقية القصة التي كان من شأنها أن تمهد الطريق لوقوع أحداث الحكاية الرئيسة وهي تأليف الكتاب، ثم انتقاله من الهند إلى بلاد فارس، ثم ما جرى من إضافة الفصل الخاص بالطبيب برزويه) بغير الواقعي، إذ نعتقد أن بعض الأحداث والشخصيات هي من صنع خيال المؤلف،

(٤) نقد النثر، ص٣٨.

ولا وجود واقعيًا لها.

يبادرنا مؤلف الكتاب بمقدمته التي (قدمها بهنود بن سحوان) وتَروي أسباب وضع الكتاب من لدن الحكيم بيدبا، فبعد المرور بحكاية حرب الاسكندر وحصاره للهند وملكها "فور"، وصولًا إلى تنصيب ملك موالٍ للإسكندر بعد التغلب على ملكِها الأول، ثم خلع الناس إياه وتنصيب ملك من اختيارهم، وهو "دبشَليم" ثم تفرده بالسلطة والغلو في البطش والطغيان، نصل إلى قرار بيدبا الفيلسوف أن يبادر إلى نصيحة الملك ورَدِّهِ عن طغيانه، فيستدعي تلاميذه ويشاورهم في أمره، متوسلًا إلى إقناعهم بأسلوبه البليغ، ثم يضرب لهم مثلًا من حكاية القبرة والفيل، لإثبات قدرة الصغير الضعيف على هزيمة الكبير القوي، فهو منذ البداية شبّه حاله في قبال الملك الطاغي كحال القبرة في قبال الفيل المتعجرف، أي أنه استدعى التشبيه، الذي يُعرّف بأنّه: (الإخبار بالشبه، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر، ولا يستوعب جميع الصفات، أو هو الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه. أو هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه. وللتشبيه تعريفات كثيرة ... ومنها ما ذكره عبد القاهر في أسرار البلاغة، وهو أن يُثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكمًا من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، أو للحُجّة حكم النور لأنَّها يُفصَلُ بها بين الحقّ والباطل)[٥]، وعلى الرغم من أن التشبيه بابٌ واسع يقع التمثيل أو التشبيه التمثيليّ فرعًا منه، إذ يقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني: (إن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا)[٦]، إلا أننا نجد المؤلف قد اعتمد بنحو واسع التشبيه التمثيلي، وهو ما أجمع البلاغيون على أنه التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعًا من متعدد، ونحن هنا نتوسع في هذا المفهوم البلاغي فنزعم أن وجه الشبه بين حال الحكيم بيدبا وهو الطرف الضعيف هنا، عازما على مجابهة الحاكم الظالم بظلمه وطغيانه، وإسداء النصح إليه ورَدِّهِ عمّا هو بسبيله من سوء السيرة في سياسة الرعية، يشبه حال القبرة الضعيفة الضئيلة إذا ما قيست بالفيل القوي الضخم، الذي آذاها في أفراخها فاحتالت أن تقتص منه، ونجح مسعاها.

إن كثيرا من الحكايات التي وردت في الكتاب بعد ذلك تتخذ هذا السّمتَ من التَّمثُّل بحكايات على لسان البهائم أو غيرهم، تشتمل على حكمة أو أمثولة، يراد بها إقناع طرف المجادلة الآخر "السامع" بالرأي أو وجهة النظر محل الخلاف، (وفي نظر السكاكي، فإن صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة يسلك مسلك صاحب الاستدلال، ولا يمكن الفصل بين البيان والاستدلال، لأنَّ البيان هو ادعاء أيضًا، ما دام أنَّه إلزام شيء يستلزم شيئا، فيَتَوصَّل بذلك إلى الإثبات، أو يُعاند شيئا فيَتَوَصَّل بذلك إلى النفي، وبعبارة أخرى، فالتشبيه والكناية الاستعارة وغيرها من وجوه البيان هي من مسالك الاستدلال والحِجاج)[٧].

(٥) معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة بجدة ودار الرفاعي بالرياض، ط٣، ١٩٨٨، ص٢٩٦.

(٦) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، د. ط، د. ت، ص٩٥.

(٧) بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، د. حسن المودن، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٤م،

وتَطّردُ في الكتاب الاستعانة بالتشبيه التمثيلي، لا سيما إذا تنبهنا إلى الطبيعية التوليدية للحكايات التي تَسم منهج المؤلف في سردها، فهي تتوالد من بعضها، في سلاسلَ طوالٍ أو قصار على وفق مُقتضى المساق السردي. ولا بد لنا من الالتفات هنا إلى أنَّ الجدال في هذا الكتاب يتّسم بكثير من التعاون، كما نصّ عليه بول غرايس، إذ يتوفر على المقولات الأربع وهي الكمُّ والكيفُ والإضافة والجِهة، هذا ناهيك عن أنّ كلّ مُتحدثٍ يُعطي نظيرَه الفرصة الكافية للتعبير عن رأيه أو مذهبه الفكري أو ما يعتزمه من فعل، بالإصغاء الكامل من دون أي تشويش (مقاطعة) بل يذهب الأمر إلى أبعد من ذلك، إذ يُظهر كِلا المُتجادلَين شيئا من الرضا أو الاقتناع الجزئي برأي الآخر في مستهل الردّ عليه، ثم يبدأ في عرض رأيه المُناهض، لكن من دون المَساس برأي الأول، إنّما يكونُ الحِجاج بمحاولة عرض حُجّة أقوى وأبلغ، وتكون الوسيلة لذلك دائما التمثل بحكاية قد يكون أبطالُها من البشر أو البهائم، وتكون فيها العبرةُ المُتوخّاة والحجّة التي يراها المتكلم دامغة لسامعِه، قادرةً على استمالته ليتبنّى رأي نظيره.

ويعضد هذا الرأي الذي ذهبنا إليه، أن ردّ تلاميذ بيدبا الفيلسوف جاء على النحو نفسه من التشبيه التمثيلي، رغم أنّهم لم يستخدموا أي أداةٍ من أدوات التشبيه، بل اكتفوا بعرض الواقعة/ الأمثولة لتقف تلقائيا بإزاء الواقعة الحقيقية التي كانوا بصددِ حدوثها وهي ذهاب معلمهم بيدبا بمحض إرادته لتقريعِ الملك الظالم، إذ قالوا له: (وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ، وَفَهْمِنَا عِنْدَ فَهْمِكَ؟ غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ السَّبَاحَةَ فِي الْمَاءِ مَعَ التَّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ، وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السُّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِبَهُ جَانٍ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلحَيَّةِ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ، لم يَأْمَنْ مِن وَثْبَتِهِ. وهذَا الْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ النَّوَائِبُ، وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ التَّجَارِبُ، وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَنْفُسِنَا سَطْوَتَهُ وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ، فَقَالَ الحَكِيمُ بَيْدَبَا: لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ، لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الحَازِمَ لَا يَدَعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، والرأيُ الفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا، وَسَتَعرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ، وَصَرَفَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ)[٨].

ويظهر في هذا الحوار كيف تَمَثَّلَ التلاميذ بسباحة الإنسان مع التمساح، أو باستخلاصه السم من الأفعى وتذوقه لتجربته أو دخوله على الأسد في غابته، ففي كل الأمثلة الثلاثة تتقابل الشخصيات على النحو الآتي: الملك يقابل كلًا من التمساح والحية والأسد، ووجه الشبه المفرد هو أن الثلاثة وحوش تفترس أو تلدغ، فالإيذاء شيء من جبلّتها، بينما جعل التلاميذ أستاذهم مقابلا لذلك المرء الذي يسبح مع التمساح ويتذوق سم الأفعى ويدخل إلى غابة الأسد، فكأنهم أرادوا بذلك تنبيهَه إلى المَخاطر التي تحفُّ بعزمه على مقابلة الملك ولومِه وتقريعِه، لكنَّهم تلطفوا في المثال، في محاولةٍ إقناعية لم تحققْ

ص٢٤٥.

(٨) كليلة ودمنة، تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمَهُ عبد الله بن المقفع، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ص ٢٠-٢١.

غايتهـا، ذلك (أن الجدل غالبا مـا يُنجز من غير أن يتمخّـضَ عـن كاسـبين وخاسرين، ودونمـا بلوغ حـل. تنجز جـدالات كثيرة بين مشـاركين يكررون توكيدهم الالتزام بالمواقـف المتعارضة مع ما بدأوا به، أو بإعادة التركيز على رفضهم مواقف اعتراض جديـدة، بدلا مـن أن ينضموا إلى موقـف انتُهيَ إلى بسطِهِ).[٩]

ويلفـت انتباهنـا هنا نـوع من الإقنـاع الذي لا يتحقـق في أثناء الواقعـة الخطابيـة (الجدال) ولا عقبها مبـاشرة، بل يتأخر عن ذلـك كثيرًا، وهذا ما حدث بعد المجادلة التي وقعت بين بيدبا الفيلسوف والملك دبشَليم، إذا ابتدأ بيدبا خطابه للملك بالتلطّف وذكـر أسـلاف الملك وسـيرتِهم الحَسـنة في الناس وكيف كسـبوا ودّ الرعية وولاءَهم، ثم يبدأ في تقريع الملك وتوبيخِه على مخالفةِ تلك السيرة، وعلى طُغيانه وبَغيـهِ على الرعية، فما كان مـن الملك إلا أن غضب وردّ عليه بكلمات قاسـية، وأمرَ بإعدامِه، ثم خفَّف الحكم إلى الحَبس، لكنه بعد مدة من الزمن سهدَ في ليلةٍ من الليالي متفكرا في الوجود والكون واحتاج أن يَسأل في مسائلَ لا يعلمُها عامّة الناس، فتذكر بيدبا ولام نفسَه على ما فعل به، فأمر باستدعائِه وأجلسَه قربَه وأكرمَه وطلبَ منه أن يعيدَ كلماته التي ألقاها على مسـامعه أول مـرة بحذافيرهـا، ففعل الحكيم ذلك، ونلحظ هنا حصول الإقناع المُرجأ، كأنَّ كلمات الفيلسـوف فعلتْ فعلَها البطيءَ وآتَتْ أُكُلَها بعد أن أرجِئَ ذلك الأثر المطلوب مدةً من الزمن.

الإقناع الحكائي

لـم تخـلُ الحكاية التأسيسـية (وهـي الحكاية الممهـدة لتأليف الكتـاب كما مرَّ بنا) من اسـتعانة بحكايات الحيوان بنحو عَـرَضي أحيانا، لكن علينا أن نتذكر أن جوهر الكتاب قائم على الحكايات على ألسـنة البهائم، يقول ابن المقفـع (ويَنْبَغي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ، وَإِلَى أَي غَايَـةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَمَا نَسَـبَهُ إِلَى البهائم وأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَـا أَمْثَالًا: فَإِنَّ قَارِئهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ مَا أُرِيدَ بِتِلْـكَ الْمَعَانِي، وَلَا أَيَّ ثَمَـرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا، وَلَا أَيُّ نَتِيجَـةٍ تَحْصُـلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَـاتِ ما تَضمَّنَهُ هذا الكتابُ)[١٠]، إذ يشـير ابـن المقفع في هذا النص إلى أنـه جعـل تلـك الحكايات عـلى ألسـنة البهائم أمثـالًا، والأمثـال هي عصـارات حكمة الشـعوب، ويُـراد بهـا دوما أخذ العـبرة من تجـارب الأمم في المـاضي والحاضر على السـواء، ومن هنـا يظهر لنا أنّ الحكايات لها غايتـان مختلفتان مع جمهورين مختلفـين على وفق المنهج المتبع في تأليفها وجمعها إلى بعضها، فالنظـر إلى الكتابِ بعين الملكِ يوضحُه قولهُ للحكيم بيدبا وهو يأمرُه بتأليف الكتاب: (وَقَدْ أَحْبَبـتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْـتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَـةَ العَامَّـةِ وَتَأْدِيبَهَـا، وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَـتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَـلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَخِدْمَتِـهِ)[١١]، ثم يضيف بعد ذلـك قوله (وَاخْتَرْتُ أَنْ تَضَع هَذَا الْكِتَابَ، وَتُعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ، وَتُجْهِدَ فِيهِ نَفْسَـكَ، بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ، وَلْيَكُنْ مُشْتَمِلًا عَـلَى الْجِدِّ وَالْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلْسَـفَةِ)[١٢]،

(٩) بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ١٣.

(١٠) كليلة ودمنة، ص٥٩.
(١١) المصدر نفسه، ص٣٦.
(١٢) المصدر نفسه، ص٣٧.

فمضمون الكتاب يتوجّه إلى فئتين، الأولى هم العامة التي يُراد سياستها على النحو الصحيح، والثانية هم الملوك، والأخلاق التي ينبغي لهم التحلّي بها للنجاحِ في تلك السياسة، بينما طوّرَ بيدبا تَصوُّرَه للكتاب ومحتواه فجعله في أبوابٍ عدّة جمعَها في كتابٍ واحد (وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ: لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لهَوًا لِلْخَوَاصّ وَالْعَوَامّ، وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً لِعُقُولِ الخَاصَّةِ) فقد شمل الحكيم بظاهر الكتاب العامة والخاصة من الجمهور، إذ يستطيع الفريقان الاستمتاع بما وردَ فيه على ألسنة البهائم، كما نستمتع نحن اليوم كبارًا وصغارا، عامّة وخاصَّة، بأفلام الأنيميشن والرسوم المتحركة، بينما جعل الباطن موجّها للخاصَّة فقط، إذ يقول: (وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كَتابِنَا هَذَا أَلَّا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَفُّحَ لِتَزَاوِيقِهِ، بَلْ يُشْرِفُ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ، حَتَّى يَنْتَهِي مِنْهُ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ، وَيُعْمِلَ فِيهَا رَوِيَّتَهُ)[١٣].

إن الإقناع والاستئناس يبدوان هدفين جوهريّين من أهدافِ الكِتاب ومَن يقفون وراء تأليفه، فأمَّا الإقناع فللخاصّة الذين يَعنيهم أمرُ سياسة الحكم وبناءِ الدولة ورضا الجمهور، وأمَّا الاستئناس فهو طلبُ تأليفِ قلوبِ العامّة وجذبِها إلى الكتاب بما فيه من ظَرف ولهو وغرابة مأتاها جميعا من هذه البهائم التي تفكر وتنطق وتحتال وتكيد لبعضها، و(سنرى فيما يلي أن القِصَص تسندُ - وبكل يسر - الأفعال نفسها إلى البشر والأشياء والحيوانات. وهذه القاعدة ملحوظة خصوصًا في القَصَص العجيب، وإن كنا نصادفها أيضًا في القصص الأخرى)[١٤].

وهو أمر يتنافى وطبيعة البهائم العَجماوات، ناهيك عن محدودية قدراتها على التفكير، وهذا لعمري منطق متقدم في مناهج التأليف والتصنيف، إذ يُحدد الجمهور الموجّه إليه الكتاب سلفًا، ويحدّدُ الغايات التي يريدُ بلوغها على وفق نوع الجمهور المستهدف، ويتخذ له الوسائل المناسبة من تشويق وجذب ثم إقناع إنْ كانوا من عامّة الناس وجمهرتهم، أو تشفير الظاهر ليجد الخاصَّة في باطنِه ضالتّهم من الحكمةِ وفنون المعرفة.

وليس يفوتُنا أن نذكر أنَّ كليلة ودمنة من الكتب القليلة في تأريخ التدوين التي جاءت معها تعليماتُ القراءة وما ينبغي للقارئ أن يفعلَه بإزاءِ نصِّ الكتاب، ويبدو هذا نوعًا من التأديب القرائيّ الذي يريدُ تحقيق أعلى قدرٍ من الاتصالِ مع المتلقّين، بوضع علامات إرشادية طوال الطريق المؤدّي إلى المغزى الكليّ للكتاب.

إنَّ الحكاية التي تمثلُ على نحو جليّ هذا المسعى التأليفي هي حكاية الأسد والثور وهي أول ما يُفتتح به الكتاب من الحكايات، وتبدأ على النحو الآتي:

(قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ، وَهُوَ رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ: أَضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْمُحْتَالُ، حَتَّى يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاء).

(١٣) المصدر نفسه، ص٧٠، وتُنظر أيضًا ص٧٣، حيث يرد كلام لابن المقفع عن أغراض الكتاب الأربعة التي ينبغي للقارئ الالتفات إليها، أولها استمالة قلوب الشبان بسبب وضعه على ألسنة الحيوان، والثاني أن الكتاب مزود بالصور الملونة، والثالث غرض تجاري بحت وهو جعله الكتاب الأكثر مبيعا فينتفع بذلك النُسّاخ والمصورون (الرسامون) والرابع وهو الغرض المخصوص بالفيلسوف.

(١٤) مورفولوجيا القصة، فلاديمير بروب، ترجمة: د. عبد الكريم حسن و د. سميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦، ص٢١.

فيقدم بيدبا قصة الأسـد والثور، لكنَّه يمهد لها بابتـداء قصة الثور شَـترَبَة التي ملخصها أن رجلا مـوسرا لديه ثلاثـة أبنـاء مُسرفون على أنفسِـهم، تنبَّـه أبوهـم إلى ما هم عليه من الخمول والفسـاد، فنصحَ لهم فاقتنعوا بنصيحته، ويذكرُنا هذا بقولِ قدامـة في آداب الجـدل والمجادلة (وليستشـعرْ مع هذا أنَّ الأنفةَ من الانقيادِ للحقِّ عجزٌ، وأنَّ الاعترافَ به والبخـوعَ لهُ عزّ، فلا يمتنعُ مـن قبولِ الحقّ إذا وضح له. ولا يكونَنّ قصدُه في الجَدل ألا يُقطَع، فإنَّ مَـن كان في ذلك غرضُه لم يزلْ في تَنَقّلٍ من مذاهبِه وتلـونٍ في دينِه)[١٥]. ثم إن أحدهم قصد أرضًا يقال لها ميون ومعه عربة يجرها ثوران أحدهما اسـمه شَـترَبَة والآخر بَندَبَة، فوحل شَترَبَة فلم يقدروا على إخراجـه، فتركه صاحبُه وتـركَ معه رجلًا عسى أن يأتـي بعدَ أن يجفَّ الوحل، لكنَّ الرجلَ اسـتوحشَ فتركَ الثور ولحقَ بصاحبه التاجر وهناكَ كذب عليه وقال له إن شَـترَبَة قد مات، ولكي يتوثق من اقتناع صاحبه التاجر بزعمِه، روى له قصةَ رجلٍ مُسـافر فرَّ من خطر السـباع لأنَّه يَعـرفُ مظانّ وجودِهم، فطـاردَه ذئـبٌ شرس ففرّ من الذئـب لكنه لم يجدْ مفرًا سـوى أنْ يلقي بنفسه في النهرِ وهو لا يُحسن السباحة، فكاد أن يغرق لكنّ الناس أخرجوه، فقررَ أن يلجـأ إلى بيتٍ منفردٍ بعيـد قليلًا عن القرية فلما ذهبَ إليه وجد لصوصًا يقتسـمون مالًا ويعتزمون قتلَ صاحب المالِ ففرَّ منهم إلى القريةِ وجلس تحت حائط فيها فهوى الحائط عليه فقتله.

لقـد وَلَدَتْ القصـةُ الأولى قصةً فرعيـة أراد بها الـراوي الداخلي (الضمني) أن يقول إن الموت لاحقٌ بالمـرء وقد يقعُ عليه في مأمنِه، فالرجلُ لم تفترسْـهُ السـباعُ ولا الذئبُ الذي طـاردَه، ولا غرقَ في النهر، ولا قتلَـه اللصـوصُ، بـل قتلـه حائـطٌ لا يحملُ له ضغينة ولا غلا ولا حسدا ولا طمعًا.

ثم يقطعُ الراوي حديثه ليطلعنا على حالِ الثور الذي خلصَ وانبعثَ من مكانِه الموحل، ووجدَ مَرجًا خصبًا فعاش وسـمنَ وجعـلَ يخورُ خـوارًا عاليًا، وكان قريبًا من مملكةِ أسد عظيم يملك وحوش تلك الغابة، فلما سمعَ الأسد ذلك الخوار ولم يكن قد رأى ثورا من قبـل خاف لكنَّه لم يُظهـر خوفَه لمن مَعه من السـباع، وهنا أتى دورُ ابنـي آوى كليلةَ ودمنةَ اللذيـن تنطلق بينهمـا مجادلة اعتراضيـة طويلة، وهـي (نوع من التفاعل الـذي يخلق فيه التعارض بين المتكلمين اسـتقطابا مطولا متبادلا فيما بينهم على مـدى المحادثـة)[١٦] يزمع دمنة فيهـا الذهاب إلى الأسد ليكون مستشـارَه وأمينَ سرِّه، بينما يرى كليلـةُ أنّ هذا الأمـر خطيرٌ وغيرُ مأمـونِ العواقب، وفي غضـون ذلك نقرأ مـا يقولُه هـذان المُتجادلان في فلسـفةِ السـلطة وأخلاق الملـوكِ وطبائعِهم وما ينبغي لهم من أناة وروية وأخذٍ بمجامعِ الحكمةِ في سياسة الرعية ومدى خطورة وظائفِ المُستشارين وحساسيتها وغير ذلك.

وتسـتغرق الحكايـة في ذلـك الجـدال الإقناعي المُعزّز بحكايات فرعية، سـواء في هـذه الحكاية أو في الحكايـات اللاحقـة. على أنّه من الممكن دراسـة الخَمـسَ عـشرةَ حكايـةً الـواردة في الكتـاب، مع مـا يتفرع منهـا من حكايـات فرعيـة، فضلا عن الحكاية التأسيسية وتفرعاتها دراسة مورفولوجية

(١٥) نقد النثر، ص١٤٩.

(١٦) بحـوث في تحليل الخطـاب الإقناعي، د. محمد العبد، الأكاديميـة الحديثـة للكتاب الجامعـي، القاهرة، د. ط، ٢٠١٣م، ص٢٢.

باستخدام منظور فلاديمير بروب ومتابعةِ كثير من التناظراتِ النمطيّة التي وسَمتْ هذه الحكاياتِ من حيثُ الشــكلُ السرديُّ لها قبــل التفرعات الجانبية وبعدها، وترابط الحكايات مع بعضها بهذا الخيط الناظم الرفيع، الذي جعله المؤلف مسوّغا لاستمرار تدفــق الحكايات، ويتجلّى في الــراوي بيدبا الحكيم والمســتمع الملك دبشَــليم الذي يطلــب حكايات عن حالات إنســانية محددة، وتتكــرر كوحداتٍ سرديّة رابطة ومســوغة للحكاية اللاحقــة، فعندما يَنتهي بَيدبــا من سَردِ قصّــة ما يعلّق دبشــليم على النحو الآتــي: (قَالَ دَبَشْــلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُــوفِ: قَد سَــمِعْتُ هَــذَا الْمُثَلَ، فَــاضْرِبْ لِي مَثَلَ الْمَلِــكِ الَّذِي يُرَاجِعُ مَــنْ أَصَابَتْهُ مِنْــهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَــيْرِ جُرْمٍ، أَوْ جَفْوَةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ. قَالَ الْفَيْلَسُوفُ:....)[١٧].

ويستمرُّ المؤلّف على هذا النّحو من الاسترسال في سردِ الحكايات التي يمكنُ أن نَعتدّها وحداتٍ سردية متكاملة لكنها تَنتظم في ســياقٍ سلسلة من حلقات متماثلة في شــكلها الخارجي وفي مَنحاها الأخلاقيّ والســياسيّ والاجتماعــيّ، مختلفــة في مضمونِهــا الحكائــيّ وشــخصيّاتها، وهــي في المجمــل تــؤدي وظيفــة إقناعيّة رائدة في مجالِهــا، فرغم أن القرآنَ الكريم قد أوردَ من قصص الحيوان وغيرها ما كان جديدًا على المُجتمع العربيّ والإســلاميّ آنذاك، إلا أن الآيــات القرآنيّات الكريمات جئن في ســياقٍ قصصي اشــتملَ على عــرض معجزات الأنبياء، فــإنَّ القرآن الكريم ليــس كتابًا قصصيًا، بل هــو كتابٌ مقدّس اشــتمل عــلى بعــضِ قصــص الأنبياء وغيرهــا مما اقتضاه مقام التنزيل والخطاب والدعوة، وجاء ذلك القَصَــص الحيوانيّ مع غيره من القصص والأمثال في ســياق إقناعــيّ لا مــراء فيه، فضلًا عن أســلوبه الإعجازي وبلاغته الهائلــة. أما في كليلة ودمنة فإن الكتابَ مبنيٌّ كُليًا على القصص، متخذٌ إيَّاها وحدَها وسيلة للإقناع، بل يمكنُ القول إنَّ الخطابَ بمُجملِه في هذا الكتابِ خطابٌ إقناعي.

الخاتمة

تخلص هذه الدراســة - رغم الاختزال الشديد- إلى أن كتــاب كليلــة ودمنــة كان واحدا مــن الكتب الرائــدة في اســتخدام القصــص التــي أبطالها من الحيوانات الناطقة، وقد أراد المؤلف بذلك أن يحقق جملــة غايات منها اســتخدام الأســاليب البلاغية - وإن وردت عــلى ألســنة البهائــم- وســيلة للأقناع، وهو أمر مســتغرب إذا ما أخذنا بالحسبان أن تلك البهائــم عجماوات بالفطــرة، أو أن لها لغاتها، كما نصَّ على ذلك القرآن الكريم والعلوم الحديثة، لكننا غير قادرين على اســتبانتها وفهمها، وكانت الغاية الأخرى هي استمالة قلوب العامة وغير المتعلمين إلى ما في الكتاب من لهو وطرافة، وقد مر أن الاستمالة من مقدمــات الإقناع، هذا فضلًا عــن أن في الكتاب ما هــو موجــه للحكمــاء والعلماء، وهو مــا يمكن اســتخلاصه من المــؤدى الكلي لــكل قصة على حدة أو لــكل القصص مجتمعة، وهــي تلك المعاني التي أرادهــا كلٌّ من المؤلف (بيدبا إن كان ثمة شــخص حقيقي يحمل هذا الاســم، أو ابن المقفع، أو مؤلف هندي لا نعرفه) والشخصيات القصصية في الكتاب وهــي كل مــن (بيدبا، ودبشــليم)، وبذلــك يتحقق المعنيــان الظاهــر والباطــن للكتــاب، الموجهان إلى العامة والسوقة، أو إلى الحكماء والعلماء.

(١٧) كليلة ودمنة، ص٢٦٢.

المصادرُ والمراجع

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، د. ط، د. ت.
- بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د. ط، ٢٠١٣.
- بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، د. حسن المودن، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٤م.
- كليلة ودمنة، تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمَهُ عبد الله بن المقفع، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م.
- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة بجدة ودار الرفاعي بالرياض، ط٣، ١٩٨٨.
- مورفولوجيا القصة، فلاديمير بروب، ترجمة: د. عبد الكريم حسن و د. سميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦.
- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون لانغشو أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د. ط، ١٩٩١.
- نقد النثر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. طه حسين وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٤١.